

الرسالة الثالثة من :
(الإسلام دين الأولين والآخريين)



المركز الإسلامي- بونسي- بورتوريكو
4718 شارع لونا- بونسي
(توزع مجاناً ولا تباع)

بسم الله الرحمن الرحيم
فكثيرا ما يتصل أبناء هذه البلاد (بورتوريكو)
خاصة

الأساتذة وطلاب الجامعات يسألون عن الإسلام ، ولمّا كنت لا أتكلم الأسبانية فقد عزمت علي كتابة رسائل توضح معني الإسلام حتى تكون في متناول الجميع فبدأت بالرسالة الأولى عام 2002 ، ثم بالرسالة الثانية عام 2003 ، وهذه الرسالة الثالثة من :

(الإسلام دين الأولين والآخرين)

إعداد

الشيخ : إبراهيم أبو سالم
 إمام المركز الإسلامي - بونسي - بورتوريكو
 12 من ربيع الأول 1425 الموافق 2 من مايو 2004
 ت 9562-842(787)

ترجمة

أمجد حسن بدران - هوسي كونزالز
 (787) 835-3318 - (787) 835-1587

راجع الترجمة

المحامي : ويلفريدو رويز
 ت : 5401-562 (787)

(الطبعة الثانية)

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا (محمد)
النبي الأمي وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين -----

وبعد

فلا يخفى على أحد ما يلقاه المسلمون وما يُتهمون به بعد أحداث الحادي عشر من
سبتمبر 2001م ، وليس فقط المسلمون بل أئهم الإسلام بالإرهاب وظن به الظنون ، فقد
يُتهم نظامُ دولة أو سياسة حكومة هذا وارد في الحياة ، لأن الخطأ من طبيعة البشر
ووضع النظم والسياسات من أفكار الأفراد وخبرة الخبراء ، أما أن يُتهم الإسلام وهو
اختيار الله لعباده فهذا غير مقبول قال تعالى من سورة المائدة آية رقم 3 :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)

لذا فقد عزمت على كتابة رسائل توضح معنى الإسلام ، إيماننا منا بأن الغالبية العظمى
من غير المسلمين يعتقدون : أن الإسلام هو دين الإرهاب ، والتطرف ، والتشدد
في كل شؤون الحياة **لماذا** ؟ **لماذا يرون** من حالات فردية يقوم بها بعض المتشددين
(وفي كل أمة ومجتمع يوجد متشددون) فبدأت بالرسالة الأولى في مايو عام 2002 م
ثم بالرسالة الثانية في مايو عام : 2003 م ، وقد لاقت الرسالة (الأولى ، والثانية)
قبولا عند أبناء هذه البلاد ، وأزالت أموراً كانوا يشكون فيها ، ووضحت حقائق
كانت خافية عليهم وأبرزت قضايا وطرحت أسئلة منها :

- 1- هل بشرت الكتب المقدسة كالنوراة والإنجيل بمحمد صلى الله عليه وسلم ؟
- 2- ولماذا اختفت هذه البشارات ؟ وهل توجد أمثلة على ذلك ؟
- 3- لماذا تكفل الله بحفظ القرآن الكريم دون الكتب السابقة ؟ ولماذا تعددت الأنجيل ؟
- 4- إذا كان العلم يدعو للإيمان فلماذا اقترنت النهضة العلمية في أوروبا بالإلحاد ؟

أسئلة كثيرة وردت إلينا من (من أبناء هذه البلاد) أجبنا عليها في حينها ، وكنت عازما
على كتابة الرسالة الثالثة في هذا الشأن ، إلا أنني تحولت عن هذا الأمر ، وأرجأت
الكتابة فيه إلى (الرسالة الرابعة إن شاء الله) بسبب ما نسمعه كثيرا ، ونشاهده
كثيرا في حياتنا هنا ، وعلى القنوات التليفزيونية من اتهامات أخرى للإسلام تتعلق :

(بالمرأة بصفة عامة ، وبالمرأة المسلمة بصفة خاصة)

لذا فنريد في هذه الرسالة إن شاء الله إن نلقي الضوء على الموضوعات الآتية :

1- مكانة المرأة عند الأمم الأخرى ، وعند العرب قبل بعثة (محمد) وبعدها .

2- أسباب تعدد زوجات النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم .

3- أسباب تعدد الزوجات في الإسلام .

لما كانت هذه الموضوعات في حاجة إلى بيان وتوضيح ، فقد عازمت على كتابة الرسالة الثالثة في هذه الموضوعات..للإجابة عليها ، ليكون عند المسلمين الجواب الشافي ، وعند غير المسلمين القناعة في عالمية هذا الدين وشموله ، وأنه بحق : (دين الأولين والآخرين) وقد راعيت في هذه الرسالة والتي قبلها (الأولى ، والثانية) الإيجاز حتى لا يمل القارئ الكريم إن شاء الله .

فالى الباحثين عن الحقيقة ، الراغبين في المعرفة ، الحرصين على الهداية ، الفارين إلى النجاة أقدم الرسالة الثالثة من :

(الإسلام دين الأولين والآخرين)

إعداد

الشيخ : إبراهيم عبد الحميد محمد أبوسالم

أصول الدين - الأزهر الشريف

إمام المركز الإسلامي - بونسي - بورتوريكو

12 من ربيع الأول 1425 الموافق 2 من مايو 2004

ت : 9562 – 842 (787)

*

الفصل الأول : مكانة المرأة عند الأمم قبل بعثة (محمد) وبعدها

قبل أن نتحدث عن مكانة المرأة في القرآن الكريم فمن المهم أن نذكر مكانتها عند الأمم الأخرى التي كانت تعيش حول الجزيرة العربية قبل بعثة النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم لنعرف الفارق الكبير حول مكانتها قبل بعثته صلى الله عليه وسلم وبعده بعثته :

1- **ففي الهند:** كانت (شريعة مانو) تنكر حق المرأة منفصلة عن أبيها أو زوجها أو ولدها وبلغت الوحشية بالمرأة أنها كانت تدفن حية مع زوجها أو تحرق مع جثته .

2- **وفي اليونان:** كانت المرأة مسلووبة الحرية ، وكانت تباع وتشتري ، وقد كان ينظر إليها في (أثينا) على أنها رجس من عمل الشيطان.

3- **وفي فارس :** كان للرجل أن يتزوج من شاء ، وأن يتخذ الخليلات بلا حدود ، وكان من فلسفتهم : تفضيل زواج الرجل من أمه أو أخته أو ابنته... وبصفة عامة إباحة النساء.

4- **وفي روما :** شاعت عقيدة نجاسة المرأة ، وباعت المرأة بلعنة الخطيئة فابتعدوا عنها وأدى ذلك إلى الرهبانية التي يعتبرونها تقربا من الله ، وابتعدا عن حبال الشيطان . وظلت المرأة لا وزن لها ولا قدر ولا يؤخذ رأيها في شئ حتى جاء عصر الفروسية وهو العصر الذهبي للمرأة في أوروبا ، ومع ذلك فلم يكن لها رأي يُذكر ، ويكفي أن نذكر حادثة واحدة لنرى مكانتها في هذا العصر ، يُروى أن زوجة أحد الملوك سألت زوجها الملك في أن يمدَّ يَدَ العَوْنِ للفقراء فأصغى إليها ثم غضب ولطمها بيده على أنفها فسقطت منه أربع قطرات من الدم فصاحت وقالت : شكرا لك يا سيدي إن أرضاك هذا فأعطني من يدك لكمة أخرى حين تشاء .

(هذا هو العصر الذهبي للمرأة بين الأمم الأوربية)

• وأما عن مكانة المرأة عند الغرب في العصر الحديث : فقد ظلت حتى عام 1882 م محرومة من حقها الكامل في تملك العقارات وحرية المقاضاة ، ففي عام 1790 م بيعت امرأة في أسواق إنجلترا بشلنين لماذا ؟ لأن أهلها عجزوا عن تكاليف معيشتها ، وكان تعليم المرأة عارا تشمئز منه النساء قبل الرجال ، فعندما كانت (اليصابات بلا كويل) وهي أول طبيبة في العالم الغربي تتعلم في جامعة جنيف عام 1849م كانت النساء المقيمات معها يُقاطعنها ويجمعن ثيابهن من طريقها احتقارا لها ، ولما عزم بعض

الأطباء على إقامة معهد يُعلم النساء الطب بمدينة (فلادلفيا) الأمريكية أعلنت الجماعة الطبية بالمدينة : أنها ستصادر كل طبيب يقبل العمل بذلك المعهد وستصادر كل من يستشير أولئك الأطباء .

• وأما عن مكانة المرأة عند العرب قبل رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم وما بعدها..... وحتى يرث الله الأرض ومن عليها .

فقياسان اثنان كافيان لبيان الفارق البعيد بين ما كانت عليه المرأة عند العرب وما صارت إليه بعد رسالة النبي محمد صلى الله عليه وسلم

1- فلقد كانت المرأة عند العرب متاعا تورث وتقسم بين الورثة كالحوانات والماشية فكانت المرأة إذا مات زوجها كان من حق الورثة أن يتزوجها أحدهم ، أو يُزوجها مَنْ شاءوا بدون إذنها فجاء القرآن الكريم بالنهي عن هذا الفعل في قوله تعالى من سورة النساء آية رقم 19: (يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها.....) .

2- كان الرجل إذا كره زوجته أساء إليها بالضرب لِتقتديَ نفسها منه وذلك بأن تترك له حقها ونفقتها من المال ، فجاء القرآن الكريم بالنهي عن هذا الفعل في قوله تعالى من سورة النساء آية رقم 19 (.....) ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن.....) .

3- وليس فقط بل أمر الله الزوج أن يُحسن معاشرته حتى ولو كان كارها لها قال تعالى في الآية نفسها رقم 19 (.....) وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا) .

4- ولم يكن للمرأة حق عند زوجها فأعطى القرآن الكريم للمرأة حقها كالرجل قال تعالى من سورة البقرة آية رقم 228 (.....) ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف.....) .

5- ولم يكن للمرأة الحق في الكسب فأباح لها القرآن الكريم أن تكسب كما يكسب الرجل قال تعالى من سورة النساء آية رقم 32(.....) للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله.....) .

6- وأكثر من ذلك فقد كانت المرأة تُدفن في صغرها - أي بعد ولادتها- فرارا من عار وجودها ، أو فرارا من طعامها ، قال تعالى من سورة النحل آية رقم : 59/58 (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ؟ ألا ساء ما يحكمون) .

7- وأما الذين يقولون : إن الإسلام حجر على المرأة من أن تتزين وألزمها بلباس يحبس حريتها فهذا قول باطل لماذا ؟ لأن الإسلام كرم المرأة وصانها من أن تتشبه بالحيوانات في كشف العورة ومن أن تلتهمها عيون البشر ولم لا ؟ فقد أباح لها أن تظهر بعض زينتها مع غير المحارم : (كالوجه والكفين) وأن تظهر أكثر من ذلك للأب والأخ والإبن وبقية المحارم (كالذراعين والساقين والشعر والرقبة) وأن تظهر لزوجها جميع بدنها قال تعالى من سورة النور آية رقم : 31 (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو أبناءهن أو بنائهن أو أبنائهن أو أبنائهن أو إخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن ---) .
والأعجب من ذلك أن يُعاب على المرأة المسلمة وفي الوقت نفسه توجد نساء في الكنائس وقد غطين أجسادهن ولم يعترض عليهن أحد .
أليست هذه امرأة وتلك امرأة ؟ سبحان الله --- ! .

هذه بعض أحكام القرآن الكريم لحقوق المرأة ، فماذا عن مكانة المرأة في حياة النبي (محمد صلى الله عليه وسلم ؟)

1- جعل خيار المسلمين من يحسنون إلى نسائهم فقال: (أكمل المؤمنين إيماننا أحسنهم خلقا وخياركم خياركم لنسائهم) .

2- أمر بمدارة ضعفها فقال : (استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع أعوج وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه إن ذهب تقيمه كسرتة وإن استمتعت بها استمتعت بها وبها عوج فاستوصوا بهن خيرا) أي إن طلبت من المرأة المثالية الكاملة فهذا مستحيل وإذا طلبت المستحيل فستطلقها هذا معنى إن ذهب تقيمه كسرتة والكسر هو الطلاق .

3- أوجب على الرجل أن يتجمل لزوجته ويبدو لها في المنظر الذي تحبه منه فقال : (اغسلوا ثيابكم ، وخذوا من شعوركم ، واستاكوا ، وتزينوا ، وتنظفوا ، فإن بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم) .

4- أوجب على الرجل إذا خطب امرأة أن يظهرها على عيبيه إن كان به عيب مستور فقال : (إذا خطب أحدكم المرأة وهو يخضب بالسواد فليعلمها أنه يخضب) .

5- أوجب على الرجل أن يُمتعها كما تمتعه فقال : (فإذا جامع أحدكم أهله فإذا قضى حاجته قبل أن تقضي حاجتها فلا يعجلها حتى تقضي حاجتها) .

هذه بعض وصايا النبي (محمد) صلى الله عليه وسلم للمسلمين في معاملة زوجاتهم
فماذا عن معاملته لزوجاته ؟

1- كان صلى الله عليه وسلم يتلطف مع زوجاته ، ويضاحكهن ، ويتولى خدمة البيت معهن ويقول : (خدمتك لزوجتك صدقة) .

2- كان صلى الله عليه وسلم قريبا منهن فكان يزورهن جميعا في الصباح والمساء .

3- كان صلى الله عليه وسلم إذا خلا بزوجاته كما تقول زوجته عائشة : ضحاكا بساما .

4- كان صلى الله عليه وسلم يستغفر الله في مِيل قلبه إلى إحداهن ويقول :
(اللهم هذا قسَمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك) .

5- ولما اشتد عليه المرض رغب في أن يكون عند زوجته عائشة فأستأذن زوجاته فوافقن وكان بوسعه أن يقيم حيث شاء بدون إذنهن .

6- كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد السفر أقرع بين نسائه وفي غزوة بني المصطلق خرجت القرعة على زوجته (عائشة) فأخذها معه ، وعند العودة من الغزوة تخلفت عن القافلة لماذا ؟ حيث ذهبت لقضاء حاجتها - وظن القوم أنها بالهودج لنحافة بدنها - ثم دخلت المدينة في وضح النهار في صحبة الصحابي (صفوان بن المعطل السلمي) ورأى المنافقون ذلك فاتهموها معه ، وينزل القرآن ببراءتها في قوله تعالى من سورة النور آيات من : 11:13 (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم * لو لا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين * لو لا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) .

ولكن هل تاب المنافقون ورجعوا إلى ربهم ؟ كلا ، بل استمروا في حقدِهم وحسدِهم للرسول وللمسلمين وورث أبناء المنافقين ما صنع الآباء من اتهامهم لرسول الله في هذا العصر وما قبله ، هؤلاء الذين يعملون جاهدين للتشكيك في شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم وفي آل بيته الطاهرين ، كهذا الحاقد الذي قال لبعض المسلمين : امرأة نبيكم اتهمت بالزنا وتقولون : لقد برأها القرآن ولا ندري أهى بريئة أم لا ؟ فقال له المسلم : يا هذا امرأتان اتهمتتا بالزنا وقد برأهما القرآن الكريم : امرأة أنجبت وليس لها زوج (مريم) وامرأة لم تنجب ولها زوج (عائشة) فأيتها أخرى بالتهمة ؟ فسكت.....

7- كان صلى الله عليه وسلم يتودد إلى زوجاته حتى أنساهن أنه نبي ورسول ، فكن يُراجعنه في قوله ، وكان يقبل أن يكون غيره حكما عليه كهذه الرواية التي ترويه السيدة (عائشة) رضي الله عنها فتقول : كان بيني وبين رسول الله كلام.....
 = أي اختلاف في الرأي = فقال لي : (أترضين أن يكون أبو عبيده بن الجراح حكما بيننا ؟) فقلت له : إنه رجلٌ لئِنٌ ويقضي لك علي ، فقال لي : (أترضين أن يكون عمر بن الخطاب حكما بيننا ؟) فقلت له : إنى أفرق منه (أي أخاف منه) فقال : (وإن الشيطان ليخاف منه) فقال لي : (أترضين أن يكون أبو بكر حكما بيننا ؟) فقلت : بلى ، فقال : (يا أبا بكر أحكم بيننا) وبدأ يتكلم..... فقلت له إعدل يا رسول الله = أي قل الحق = فلطمني أبو بكر لكمة خرج الدم من أنفي وقال : مَنْ يَعدِل إذا لم يعدل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ؟ فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام فمسح الدم عن أنفي وثيابي وقال :

(ما ارتضيناك لهذا يا أبا بكر)

هذا وقد دأب المستشرقون وأعداء الإسلام على اتهام رسول الله بأنه شهواني وبأنه استسلم لشهوته حيث جمع بين تسع زوجات في وقت واحد ولما كان هذا الموضوع :
 (أسباب تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم)
 غاية في الأهمية فستحدث عنه في الفصل الثاني من هذه الرسالة :

(الإسلام دين الأولين والآخرين)

*

الفصل الثاني : أسباب تعدد زوجات النبي (محمد صلى الله عليه وسلم)

لمّا كانت العفة والطهارة والنقاء فضائل لا يعرفها المنافقون والمستشرقون في الماضي والحاضر والمستقبل ، فقد سمحوا لأنفسهم أن يصفوا الرسول صلى الله عليه وسلم بأنه استسلم لشهوته حيث جمع بين تسع زوجات و غاب عنهم مع أنهم يعيشون فيه أن حب المرأة لا عيب فيه فهو غريزة تلهم كل كائن حي ما لا تلهمه غريزة أخرى فالسمك يعبر الماء المالح في موسم معلوم فيطوى آلاف الأميال ليصل إلى فرجة نهر عذب ليجدد فيها نسله ثم يعود ، وكذلك بعض الطيور والزهر عندما يفتح يكون له رائحة لتجذب الطير والنحل بنقل لقاحه إلى زهر آخر وهكذا ، فالتقاء الذكر بالأنثى سنة من سنن الكون والحياة فحب المرأة لا عيب فيه لماذا ؟ لأنها من الرجل ، قال تعالى من سورة النساء آية رقم : 1 (يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان علما رقيبا) إنما العيب أن يطغى هذا الحب فيشغل المرء عن واجباته وشئونه .

• فمن ذا الذي يعلم ما صنعه (محمد) صلى الله عليه وسلم في حياته ثم يقول : إن المرأة شغلته عن واجباته وشئونه ؟ .

• ومن من بُناة التاريخ قد بنى في حياته وبعد مماته تاريخا أعظم من تاريخ الدعوة المحمدية والدولة الإسلامية ؟ .

والأعجب من ذلك أن يُقال : بأن محمدا استسلم لشهوته في الوقت الذي أوشك أن يُطلق نساءه لأنهن طلبن منه المزيد من النفقة ليتزین له صلى الله عليه فلم يستجب لهن ولو شاء لأغدق عليهن النعمة وأغرقهن في الحرير والذهب ، ولو شاء أن يعيش كما يعيش الملوك لفعل ، ولكنه أثر معيشة الفقراء على معيشة الأثرياء وينزل القرآن الكريم مؤيدا لرسوله قال تعالى من سورة الأحزاب آية رقم : 28 / 29 (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعن وأسرحن سراحا جميلا * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما) فخير نساءه فاخترن الله ورسوله ، ثم يقال بعد ذلك : إنه استسلم لشهوته سبحانه الله ؟ .

• والأعجب من ذلك أيضا : أن الرجل الذي اتهمه المستشرقون بهذه التهمة لم يكن مجهولا قبل زواجه ولا بعد زواجه ، فقد كان معروفا ومشهورا منذ طفولته وصباه

أكثر من أي فتى في قريش ومع ذلك فلم يُسمع عنه أنه لها كما يلهو الفتيان ، في الوقت الذي كانت مكة يُباح فيها ما لا يباح في غيرها ، بل عُرف بالطهر والجد والأمانة ، وقام بالدعوة بعدها فلم يقل أحد من خصومه بعد ذلك وهم كثير : (تعالوا يا قوم فانظروا هذا الفتى الذي كان يفعل بالأمس كذا وكذا مع النساء ثم هو يدعوكم اليوم إلى الطهارة والعفة ونبذ الشهوات) .

كلا لم يقل أحد هذا قط ولو كان لقولهم موضع لجرى على ألف لسان ، ولما تزوج بأولى زوجاته السيدة : (خديجة) رضي الله عنها لم تكن الشهوة هي التي سيطرت على هذا الزواج ، لأنه تزوجها وهي في الأربعين من عمرها وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، وأشرف عمره (صلى الله عليه وسلم) على الخمسين وليس له زوجة غيرها وليس عنده رغبة من الزواج بأخرى ، ولو كانت الشهوة هي التي سيطرت على زواجه لكان له أن يجمع بين تسع زوجات من الفتيات الأبقار اللاتي اشتهرن بفتنة الجمال في مكة ، والمدينة ، والجزيرة العربية بعد وفاة السيدة (خديجة) رضي الله عنها ولكنه ما تزوج نساءه إلا بأمر من الله سبحانه وتعالى لقوله صلى الله عليه وسلم : (ما تزوجت نسائي إلا بوحي وما زوجت بناتي إلا بوحي) ولكل زوجة قصة ومثل لمن أراد أن يقتدي ويتأسى ، فبعد وفاة السيدة (خديجة) تزوج عليه الصلاة والسلام بعدد من الزوجات ممنهن حرائر ، ومنهن إماء ، فمن الحرائر : جمع بين تسع زوجات هن :

1- السيدة : (سودة) رضي الله عنها ، وكانت كبيرة في العمر ، تزوجها لترعى أولاده بعد موت السيدة (خديجة) وكانت السيدة (سودة) من أسبق النساء في الإسلام ، وقد هجرت أهلها وهاجرت مع زوجها إلى الحبشة فرارا بدينها ، فلما مات زوجها بالحبشة تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم حماية لها من أن تفتن في دينها وتأليفا لأهلها .

2- السيدة : (عائشة) رضي الله عنها ، بنت صاحبه (أبي بكر) رضي الله عنه وهي البكر الوحيدة بين زوجاته تزوجها تأليفا لصاحبه ، وليرفع الحرج عنه إذا أراد دخول منزل الرسول صلى الله عليه وسلم و كان رضي الله عنه يوجد معه كثيرا .

3- السيدة : (حفصة) رضي الله عنها ، بنت صاحبه (عمر) رضي الله عنه فعندما مات زوجها عرضها (عمر) على أبي بكر فسكت ، ثم عرضها على عثمان فسكت ، فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم خطبها من أبيها وقال : (يتزوج حفصة من هو خير من أبي بكر و عثمان) فعل هذا كما فعل مع أبي بكر تأليفا له ، وليرفع الحرج عنه إذا أراد دخول منزل الرسول صلى الله عليه وسلم وكان رضي الله عنه يوجد معه كثيرا .

4- السيدة : (أم سلمة) رضي الله عنها ، التي تحملت في سبيل دينها ما لم تتحملة امرأة فعندما مات زوجها (أبو سلمة) رضي الله عنه ، واساها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله : (سلى الله أن يُؤجرك خيرا منه) فقالت : ومَنْ خير من أبي سلمة ؟ فأمر الله رسوله أن يتزوجها لماذا ؟ لأنها تعلم بأن الرسول صلى الله عليه وسلم خير من أبي سلمة

5- السيدة : (زينب بنت جحش) رضي الله عنها زوجها الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ليبطل الله الآثار المترتبة على التبني فقد كانت السيدة (زينب) متزوجة من : (زيد بن حارثة) رضي الله عنه ، الذي تبناه الرسول ونسبه إلى نفسه فكان يقال له : (زيد بن محمد) وكان المُتبنى يرث من نسب إليه ، وإذا مات المُتبنى لا يجوز لِمَنْ تبناه أن يتزوج امرأته على اعتبار أنها زوجة ابنه فنهى الله عن ذلك ، وأمر الله رسوله أن يتزوج امرأة (زيد) بعد طلاقها منه لماذا ؟ لأن الحياة استحالت بينهما بسبب أن السيدة (زينب) كانت تشعر أنها أعلى منه نسبا ، وبالرغم من ذلك إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقول لزيد عندما كان يشكو منها : (أمسك عليك زوجك) والرسول يعلم بأن زيدا سيطلقها وسيتزوجها صلى الله عليه وسلم كما أمره ربه ، ليبطل الله ما يترتب على التبني من ميراث وغيره ، ومع ذلك كان يقول لزيد في كل مرة يشكو منها : (أمسك عليك زوجك) حتى نزل قول الله في الآية رقم : 37 من الأحزاب أمرا رسوله صلى الله عليه وسلم أن يستجيب لأمره فقال : (وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا) وتقول السيدة (عائشة) رضي الله عنها (لو كان للرسول صلى الله عليه وسلم أن يكتم شيئا لكتم هذه الآية) وهذا رد على المستشرقين الذين يقولون : إن محمدا رآها بعد زواجها من زيد فأعجبته فطلب من زيد أن يطلقها ، فهذا قول باطل لماذا ؟ لأنها كانت أمامه قبل أن يتزوجها زيد فهي ابنة عمته يراها منذ طفولتها ولم يغيب عنه جمالها ، والآية القرآنية تبطل أقوال هؤلاء الحاقدين .

6- السيدة : (جويرية بنت الحارث) رضي الله عنها ، كانت إحدى السبايا في غزوة بني المصطلق فتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن أعتقها ليقتدي به المسلمون في عتق أسراهم وسباياهم... فكان لهذا الفعل أثر كبير على نفوس أهلها وقومها ، فأسلموا جميعا وحسن إسلامهم ، وتقول السيدة (عائشة) رضي الله عنها : (ما رأيت امرأة كانت أكرم علي قومها منها لماذا ؟ لأن المسلمين أعتقوا أسراهم وقالوا : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

7- السيدة : (أم حبيبة) رضي الله عنها ، بنت أبي سفيان التي أسلمت رغم أنف أبيها ثم هاجرت مع زوجها إلى الحبشة فرارا بدينها ، وفي الحبشة عشق زوجها شرب الخمر ثم تنصر وترك الإسلام ، فماذا تفعل وقد أصبحت غريبة ؟ هل تعود إلى أبيها فتؤذي ؟ أو تتردد عن الإسلام كما فعل زوجها ؟ أو تظل بالحبشة حتى يفرج الله كربها ؟ فاختارت البقاء بالحبشة حتى أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها لينقذها من غربتها وليصل ما بينه وبين أبي سفيان - سيد مكة - عسى الله أن يهديه للإسلام .

8- السيدة : (صفية) رضي الله عنها - سيدة بنى قريظة ، بنت حيي بنت أخطب فعندما وقعت في الأسر خيرها الرسول صلى الله عليه وسلم بين أن يلحقها بأهلها ، وبين أن يعتقها ويتزوجها ، فاختارت الزواج منه صلى الله عليه وسلم .

9- السيدة : (ميمونة بنت الحارث) رضي الله عنها تزوجها إكراما (لحمزة والعباس) رضي الله عنهما (ولجعفر بن أبي طالب) رضي الله عنه ، لماذا ؟ لأنهم تزوجوا أخواتها .

• لقد حظي هؤلاء بشرف الانتساب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، ورضين العيش معه لأخلاقه العالية ، وبلغن عنه الكثير من الأحكام ، وكن أمهات المؤمنين منزلة وكرامة فرضي الله عنهن .

• كذلك كان لرسول الله زوجات من الإماء كالسيدة (مارية القبطية) التي أنجبت له ابنه (إبراهيم) وأخريات... وقد كان نكاح الإماء المملوكات مباحا لعامة المؤمنين ، لماذا ؟ لأن الزواج سبب من أسباب عتقهن ، وكفارة لفطر العمد من رمضان ، وكفارة للقتل الخطأ وهكذا..... نعم لقد جمع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بين تسع زوجات في وقت واحد .

ولكن هل ظل الباب مفتوحا لرسوله صلى الله عليه وسلم ليتزوج من شاء ؟ كلا

فلقد أغلق عليه الباب دون غيره من أمته ، قال تعالى من سورة الأحزاب آية رقم : 52 (لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل لهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلا ما ملكت يمينك وكان الله على كل شيء رقيبا) أي لا يحل لك النساء بعد هذا العدد الذي ارتضيناه لك تشريعا لأمتك في زواج : الكبيرة ، والصغيرة ، والبكر ، والثيب ، والمطلقة ، ومطلقة الولد المتبنى ، والأرملة التي تعول ، والأرملة التي لا تعول ، ولا يحل لك أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن .

وهذا تضيق عليه من ربه فليس له أن يتزوج بأخرى بعد طلاق أو وفاة إحداهن ، أما غيره من أمته فقد أباح الله له أن يجمع بين أربعة في وقت واحد ولا يزيد ، ولكن من حقه أن يتزوج بأخرى بعد طلاق أو وفاة إحداهن (مادامت أحواله الصحية والمالية والعائلية تسمح بذلك) .

ومن أمته من تجاوز هذا العدد من النساء ، ومع ذلك لم يتناول أحد بسوء مثل ما تناولوا الرسول صلى الله عليه وسلم... ولم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم بدعا (أي شاذا) عن الأنبياء والمرسلين السابقين في تعدد الزوجات فلقد كان (لإبراهيم عليه الصلاة والسلام) أكثر من زوجة السيدة : (سارة) أم النبي (إسحاق) عليه السلام ، السيدة : (هاجر) أم النبي (إسماعيل) عليه السلام ، وزوجات أخر : والدته مدين الذي تزوج من ابنة النبي (لوط) عليه السلام وقد بارك الله في ذرية مدين فكثرت ثم اتخذت من شمال الحجاز موطنها لها وأرسل الله إليها الرسل كالنبي (شعيب) عليه السلام قال تعالى من سورة هود آية رقم : 84 (وإلى مدين أخاهم شعيبا) وكان للنبي (يعقوب) عليه السلام أكثر من زوجة ، وقد رزقه الله منهن باثني عشر ولدا (12 ولد) هم : 6 ستة من السيدة : (ليئة) ، و 2 اثنان من جاريتها (بلهة) ، و 2 اثنان من جاريتها (زلفة) ، ثم 2 اثنان من أحب زوجاته إليه وهي السيدة : (راحيل) هما : النبي (يوسف) عليه السلام وأخيه بنيامين .

• وكان للنبي (داوود) عليه السلام زوجات اختلف العلماء في عددهن ، لأن عددهن قد تجاوز المائة (100) زوجة حسب اختلاف العلماء .

• وكان للنبي (سليمان بن داوود) عليه السلام مائة زوجة... والله أعلم .
ولا يوجد في الإنجيل نص صريح يوجب الاقتصار على زوجة واحدة ، بل إن كثرة الزواج هي شريعة التوراة ، فتكون شريعة الإنجيل كذلك لماذا ؟ لأن : (عيسى بن مريم) عليه السلام كان يقول : (ما جئت لأنقض الناموس أي التوراة بل كل من لا يعمل به فعليه اللعنة وجميع الشعب يقول : آمين) ومع ذلك فلم يجعل الرسول صلى الله عليه وسلم تعدد الزوجات سنة مطلوبة لذاتها ، أو مباحا للجميع بل جعله ضرورة من ضرورات الحياة يلجأ إليها المضطرون لذلك ، فما هي :

(الضرورات التي تبيح تعدد الزوجات)

هذا ما سنوضحه في الفصل الثالث من هذه الرسالة :

(الإسلام دين الأولين والآخرين)

*

الفصل الثالث : أسباب تعدد الزوجات في الإسلام

فمن الخطأ أن نتهم الآخرين دون أن نسألهم عن حقيقة أمرهم وما يعبدون ، وممن يكون الاتهام ؟ من أناس أباحوا لأنفسهم كل شيء مع أننا كمسلمين محظور علينا كل شيء إلا بأمر من الله... وهناك مثل يقول :

(الذي يسكن في بيت من زجاج لا يرمي على الناس حجارة)

لن نذهب في تعليل (أسباب تعدد الزوجات في الإسلام) إلى قول بعض المشتغلين بعلم طبائع الأمم : إن تعدد الزوجات ضرورة من ضرورات الأمم الشرقية ، فإذا جاءت لهم شريعة فيجب أن تراعي ما يناسب طبائع الناس .

وقال آخرون : إن العرب كانوا يتزوجون كثيرا بلا حدود فلو جاءت شريعة (محمد) بالاقتصار على زوجة واحدة لكان صعبا علي قريش وغيرهم من قبائل العرب ، فلهذا أباح لهم تعدد الزوجات .

لن نذكر هذا أو ذاك ، ولكننا سنذكر الحقيقة وهي : أن تعدد الزوجات تشريع من الله لعباده عند الضرورة وليست في شريعة دون الأخرى ، بل في جميع الشرائع السماوية قال تعالى من سورة الملك آية رقم : 14 (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ؟) .

والسبب في ذلك كما هو معلوم للجميع : أن الرجال معرضون لأخطار الحروب ومخاوف الأسفار في البر والبحر ، ومعاناة الأشغال الشاقة التي تستخرج المعادن اللآلئ وحفر الخنادق والأنفاق والمناجم وغيرها من الصناعات الثقيلة التي لا يصلح لها إلا الرجال ، ثم ما يتبع ذلك من حوادث السباق والانتحار ، وحفر الأنهار والقنوات وبناء السدود ، والحروب المتلاحقة : فالقرن الماضي ليس بعيدا عنا حين شهد كثيرا من الحروب : كالحروب الروسية اليابانية ، والحروب العثمانية ، والحرب العالمية الأولى والثانية ، والحروب العربية الإسرائيلية ، وحرب الخليج الأولى والثانية ، كل هذه تسببت في موت الآلاف من الرجال ولو رجعنا إلي الماضي البعيد لوجدنا أن فرعون كان يذبح أبناء بني إسرائيل دون بناتهم خوفا على عرشه وملكه قال تعالى من سورة البقرة آية رقم 49: (وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) .

ولو عدنا إلى هذا العصر الحديث لوجدنا : أن عدد النساء أكثر من عدد الرجال كما دلت على ذلك الإحصائيات الرسمية فى العالم .

• فإذا حدثت هذه الحوادث وكان الرجل مقصورا على زوجة واحدة ، فماذا تصنع تلك النساء ؟ ومَنْ ذا الذي يقوم بعفاهن والمحافظة عليهن إذا كان لا يجوز للرجل أن يتزوج بأخرى ؟ .

• وإذا سافر الرجل سفرا بعيدا للدراسة أو للرزق ، ماذا يفعل إذا كان لا يجوز له أن يتزوج بأخرى ؟ .

• وهل لنا أن نعترض على رجل يحب أن تكون له ذرية كبيرة تساعد على إدارة الأعمال في زمن كثر فيه الغش والخيانة ؟ .

• وهل من الحكمة أن نحجر على الرجل ونمنعه من الزواج بغير زوجته التي وصلت إلى سن اليأس ؟ وقلما تحمل المرأة بعد سن الخمسين ، أو كانت المرأة مريضة أو عقيما لم تتجب ولا يُحب زوجها أن يطلقها ؟ .

• وماذا يفعل غير المسلم إذا كان لا يجوز له أن يتزوج بأخرى ؟ لا بد أن يفعل أحد أمرين :

- 1- فإمّا أن يصبر ويُعانيَ مشقة مقاومة الشهوة إذا كان مُحبا لزوجته ولا يريد طلاقها .
- 2- وإما أن يضطر إلى الزنا فيكون الضرر أعظم والخطر أشد .

لأجل هذا وذاك أباح الله تعدد الزوجات بشرط العدل بينهما لذلك جاء قوله تعالى في الآية رقم : 3 من سورة النساء (فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة) عقب مشروعية تعدد الزوجات في الآية نفسها قال تعالى (وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا) .

هذا وقد حذر الله من عدم العدل بين النساء قال تعالى من سورة النساء آية رقم : 129 (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان عفورا رحيفا) ويقول صلى الله عليه وسلم :
(من كانت عنده امرأتان ولم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وأحد شقيّه مائل)

ونقول للذين يعترضون على تعدد الزوجات

إنكم تعترضون على التعدد وهو تشريع من رب العالمين لعبادة عند الضرورة كما أسلفنا وفي الوقت نفسه تبيحون لأنفسكم العشرات من الصديقات غير الشرعيات اللائى يُنجبن أولادا وبناتٍ لا يُعرف أصلهن فلمن يكون الإنتماء ؟ لاشك سيكون للشيطان وأما الجواب على من يقول : لماذا أحل الإسلام للرجل أن يتزوج أربعاً وحرم على المرأة ذلك ؟ نقول : لأن المرأة هي محل الإنبات والزرع أي الولد فإذا كان للمرأة أن تتزوج أربعاً مثل الرجل ثم وضعت أي خرج منها مولود ، فلاي رجل يُنسب المولود ؟ ولمن يُنسب الولد ؟

من هنا تختلط الأنساب وتدنس السلالات وتختفي الأرحام وقد يتقابل الأولاد والبنات فى يوم ما ثم تنشأ بينهم علاقة حب على أنهم غرباء وهم فى الحقيقة محارم وإخوة ولا يجوز نكاح الأخوات .

• وأخيراً نسمع من يقول : لقد استطاع علم الوراثة الحديث تحديدَ مَنْ والد المولود عن طريق الصفات الوراثية المشتركة بين الوالد والمولود ، ومن هنا لا توجد مشكلة نقول : إذا استطاع العلم الحديث ذلك فإن نتائج العلم ليست دائماً يقينية ، فقد تكون ظنية فإذا صدقت النتائج مع أفراد فقد تخطئ مع آخرين ، فعلى احتمال الصدق فأين كرامة المرأة إذا أصبحت مرتعاً كالحيوانات يأتيها التيس أو الفحل متى شاء ؟ ثم إن هذا الأمر تأباه الطباع السليمة ويرفضه العقل والمنطق والله يقول من سورة الإسراء آية : 70 (ولقد كرّمنا بنى آدم وحملناهم فى البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) .

وعلى احتمال الخطأ : فهل ينسب مولود إلى رجل عن طريق الشكوك والظنون ؟ ثم ما ذنب الأجيال التى سبقت العلم الحديث والمفروض التساوى فى الحقوق ؟ ثم إن هذا الأمر سبيل إلى نقل الأمراض الخبيثة عن طريق التقاء النطف فى إناء واحد المرأة وفى هذا من المخاطر ما لا يُحمد عقباه والله يقول من سورة الإسراء آية رقم 32 : (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) .

من هنا حرم الإسلام على المرأة أن تتزوج بغير زوجها مادام على قيد الحياة أما إذا مات ، أو طلقها ثم انقضت عدتها ، فيجوز لها أن تتزوج من رجل آخر ، وهكذا.....

ونسأل الذين يعترضون على تعدد الزوجات

- هل مِنْ مصلحة المرأة الفقيرة التي فقدت أهلها مثلا ، ولا تجد من ينفق عليها ألا تتزوج من رجل معه زوجة أخرى ؟ .
- وهل من مصلحة المرأة الواسعة الثروة التي يخونها من يقومون على شئون أموالها ولا تستطيع محاسبتهم ألا تتزوج من رجل معه زوجة أخرى ؟ .
- وهل من مصلحة المرأة التي ساء حظها فكانت بين قوم لا يخافون الله (وهم كثير) وليس لها من الجاه والحسب ما يمنع شرهم عنها ألا تتزوج من رجل معه زوجة أخرى؟

ماذا تصنع تلك النساء ؟ ليس هناك سوى الزواج

فإذا تزوجت المرأة من رجل معه زوجة أخرى أصبحت نفقتها واجبة على الزوج فلا يمكنه أن يُفرط فيها ، ولا أن يدَع أمرها على غيره ، فضلا عن ذهاب التهمة والشبهة وسوء الظن به إذا أراد قضاء حاجتها عند عدم الزواج منها .

- وأما الذين يحتجون على أن تعدد الزوجات توجب الأحقاد بين الأولاد فهو احتجاج باطل ونظر عاطل لماذا ؟ لأن منشأ الحقد بين الأولاد يرجع إلى فقد العدل من الآباء بين الزوجات وعدم المساواة بين الأولاد ، فلو وُجدت الأحقاد فعلا فهذا راجع إلى الآباء وليس إلى الدين والتشريع .

اللهم قد وَضِحَ الصُّبْحَ لَذَى عَيْنِينَ وَتَبَيَّنَ أَنَّ شَرْعَكَ الْقَوِيمَ كَمَا قَلْتِ مِنْ سُورَةِ فَصَلْتِ آيَةَ رَقْمٍ : 42 (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) وَلَكِنَّ الْأَهْوَاءَ عَمَتَتْ عَنْ شَرْعِكَ الْقَوِيمِ فَأَعْمَتَتْ ، وَضَلَّتْ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فَأَضَلَّتْ وَصَدَقَ قَوْلُكَ فِيمَا قَلْتِ فِي الْآيَةِ رَقْمٍ : 116 مِنْ سُورَةِ الْأَنْعَامِ (وَإِنْ تَطَعْتَ أَكْثَرَ مِنْ فِي الْأَرْضِ يَضْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ) .

وَصَدَقَ قَوْلُكَ فِيمَا قَلْتِ فِي الْآيَةِ رَقْمٍ : 39 مِنْ سُورَةِ يُونُسَ (بَلْ كَذَبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَبَ الَّذِينَ كَذَبُوا فَيُنَظَرُونَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) .

وحتى نلتقي في رسالة أخرى إن شاء الله نستودعكم الله

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

إعداد

الشيخ : إبراهيم عبد الحميد محمد أبو سالم
أصول الدين – الأزهر الشريف
إمام المركز الإسلامي- بونسي- بورتوريكو

12 من ربيع الأول 1425 الموافق 2 من مايو 2004
ت : 9562-842(787)

*